

وَصَايَا لِلزَّوْجَيْنِ



الدكتور
محمد بن لطفی الصباغ



وصايا للزوجين



مُحْفَوظٌ جَمِيعُ حَقُوقِ

الطبعة الثالثة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



وصايا للزوجين

الدكتور محمد بن لطفي الصباغ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 1٩] وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] ولتتحقق هذه المعاشرة، وتكون هذه المودة والرحمة، يجب على الزوجين التزام حدود الشرع المطهر وامثال أوامره ووصاياه. ومن أهم المراحل التي ينبغي الاهتمام بها الأيام الأولى في الحياة الزوجية. وأحب أن أتقدم ببعض النصائح لمن يمرّ بهذه المرحلة.

وهذا الموضوع من الموضوعات التي حظيت في الماضي باهتمام الحكماء والآباء من أولي البيان، فترى في كتب الأدب كثيراً من الوصايا توجه إلى البنات في ليلة زفاف الواحدة منهن. ويخيّل إليّ أن جيلنا -ولا سيما الدعاة- لا يُعير



وصايا للزوجين

٦

هذا الموضوع مثل ما كان يعيره المتقدمون، مع أن البيت المسلم اليوم مستهدف أكثر من أي وقت مضى. فأعداء الإسلام يعلمون حق العلم أن الاستيلاء على الأسر لا يتم إلا بتهديم المعاني الإسلامية التي تقوم فيها بحكم الاستمرار.

ومن أجل ذلك فأنا موجه هذه النصائح لكل عروسين يشرعان الآن في بناء الأسرة الفاضلة، وقيمان اللبنة الأساسية في المجتمع.

عسى أن يتحقق بتنفيذ هذه الوصايا السكن، وتكون المودة والرحمة، وتسود المعاشرة بالمعروف جو البيت، ليؤدي مهمته في إمداد الأمة بالأفراد الصالحين والأبطال العاملين.

سأتحدث عن بعض الوصايا وأرى أنها ثلاثة أنواع. فهناك وصايا مشتركة توجه إلى الزوجين، وهناك وصايا خاصة بالزوج، وهناك وصايا خاصة بالزوجة.



١ - الوصايا المشتركة

أيها العرس والعرائس^(١):

إن عليكم أن تعرفوا أهمية الحقبة الأولى في حياتكم الزوجية.. إن هذه الحقبة تمثل بداية الخط في السير على طريق العمر . وبداية الخط لها أهمية وأية أهمية.. فالغلط اليسير في هذه المرحلة يبدد المصالح الكبرى من هذه المسيرة.

إن انحراف الخط عن الجادة يكون في أول أمره سيراً ولكنه لا يلبث أن يكون الانحراف كبيراً وخطيراً. إن الغلط في اختيار القطار المطلوب يملك إلى جهة أخرى لا تقصدها، وربما كانت الأخطار والمتاعب تنتظرك في هذه الجهة وتفوت عليك قصدك.. وربما حملك إلى بلد لا تعرف أحداً فيه، ولا

(١) العرس للذكور والعرائس للإناث.



وصايا للزوجين

٨

تعرف لغته وعاداته وطرقاته؛ وربما كنت لا تحمل من المال ما يعيدك إلى مكانك ولا تعرف من يقرضك.

إذن فعليكم يا أبناء ييا بناتي أن تهتموا بهذه المرحلة الدقيقة الحساسة وألا تتهاونوا فيها، وفي الاهتمام بجزئياتها وكلياتها على الوجه الذي يصون لكم الحياة المشتركة التي قررتم التعاون على إقامتها، امزجوا العاطفة المشبوبة التي تحيط بكم وأنتم عروسان بنزعة العقل والتفكير وتحكيم المصلحة.

فكل نار مهما كانت شديدة الضرام لا بُدَّ أن تحبوا، فلا تحسبوا أن هذه العواطف المضطربة الملتهبة التي تعيشون في دفتها وحرارتها باقية على هذا الالتهاب والضرام. فاحذروا أن تغمضوا أعينكم عن واقع الحياة ودوافع المصالح ورعاية المستقبل.

نعم.. إن العاطفة أمر عظيم في الحياة الزوجية، ولا أهون من شأنه ولا سيبا في مرحلة العرس.. ولكن الخطر في طغيان العواطف على حكم العقل.. والمقياس



الذي ينبغي تحكيمه والرجوع إليه هو الشرع المظهر الذي أنزله الله لتقوم عليه حياتنا بالقسط..

ويوضح هذا الكلام المجرد المثال الآتي، وما أكثر الأمثلة التي توضح هذا المعنى: إن كلاً من الزوجين يعيش قبل الزواج في أحلام السعادة والمسرة، والرؤى المترعة بالأمانى المحققة، و ينتظر اللحظة السعيدة المرتقبة التي يتاح له فيها أن يلقي زوجته... فقد تحمل هذه العواطف المضطربة الزوج على أن يبالغ في الإنفاق في الحقبة الأولى مبالغاً فوق طاقته.. فلا يصحو إلا ومطارق الديون والمطالب المادية المتلاحقة فوق رأسه.. وهو عندئذ بين أمرين كلاهما مرّ: فإما أن يغير ما عود عليه أهله، وهذا صعب عليهما، وإما أن يستمر في هذا الإنفاق الذي لا يقوى عليه إلا بالاستدانة أو المال الحرام!! وهذا أشدّ صعوبة على الطرفين، لأن آثاره تتجاوز الدنيا إلى يوم القيامة.

وصايا للزوجين

١٠

وقد كان يستطيع أن يتفادى ذلك كله لو أنه مزج
العاطفة المشبوبة بشيء من التعقل والاحتكام إلى
المصلحة.

ولا يعني كلامي هذا أن يعمد الزوج في أيام
العرس إلى البخل والتقتير وحرمان عروسه من كل
ألوان المتعة.

لا.. إن هذا تنفير وتدمير وإساءة.

إنه تنفير للزوجة من زوجها الذي قد تصوره
تصرفاته لها شحيحاً بخيلاً، وإنه تدمير لمستقبل الحياة
الزوجية التي ستعرض من جراء ذلك إلى النكد
المستمر أو الانفصال المحقق.

وإنه إساءة إلى نفسه وصاحبته وإلى كل المعاني
الكريمة التي سعى الدين إلى أن تقوم في الزواج.
وما أروع توجيه القرآن في الإنفاق:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩]. وقال تعالى:



﴿وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّيراً﴾ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٧]
وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ
بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] وقال: ﴿لِيُنْفِقَ
ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ
لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيِّجَعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾
[الطلاق: ٧].

ومن الحكمة إعطاء كل مناسبة حظها، فللحياة
اليومية تقدير، وللمناسبات التي لا تتكرر تقدير. إن
زيادة الإنفاق مطلوبة في الأفراح والمناسبات ولكن
بشرط أن تكون ضمن الطاقة.
هذا مثل من الأمثلة التي تؤكد خطورة المرحلة
الأولى في مسيرة الحياة الزوجية.

إن من أهم ما يوصى به الزوجان لتحقيق
المعاشرة الكريمة بالمعروف وليتوافر السكن وتكون

المودة واحترام كل منهما للآخر.

وهذا أمر عظيم التأثير على الحياة الزوجية، ترتبط به السعادة والمسرة وجوداً وعدمًا. وهذا الأمر -أي احترام كل منهما للآخر- كثيراً ما يضيعه الأزواج والزوجات، بسبب غلط في فهم إزالة الكلفة. نعم.. لا يعقل أن تبقى الكلفة بين الزوجين ولكن إزالتها لا تتعارض مع الاحترام المتبادل بينهما.

إن التفريق بين الأمرين مما يصعب تحقيقه في كثير من الأحيان ويقع الناس فيه بين الإفراط والتفريط.

إن إزالة الكلفة التي ينبغي أن تكون بين الزوجين يفهمها بعض الناس على نحو مغلوط.

يفهمونها تطاول أحد الزوجين على صاحبه عن طريق المزاح.. لا يا سادتي لا يجوز أن يكون تصرف من تصرفات أحد الزوجين قائماً على التطاول أو النيل من الآخر أو الإساءة إلى كرامته، ولو اكتست هذه التصرفات ثوب المزاح.



لا تقل يا أخي: هذه زوجة!! ولا داعي إلى مثل هذا الاحترام.

إن الطعنة التي توجهها إليها تبقى جرحاً في قلبها ينزف ضغناً وحقداً، وربما أوجدت هذه الطعنة نفرة تودي بكل أسباب سعادتك في حياتك كلها.

إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [الروم: ٢١] ولتقف قليلاً عند قوله (من أنفسكم) فالزوجة إنسان كريم، والمماثلة قائمة بينها وبين الزوج، وللرجل درجة القوامه على المرأة ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] إن على كل من الزوجين أن يحترم رأي الآخر، وليكن النقاش المبلبل بندى العاطفة السبيل الذي يرجع إليه.. ومن الخير ألا يطول النقاش.. وألا يصل إلى حد المراء..ومن الخير أن يتنازل واحدٌ منهما مرة عن رأيه للآخر لا



وصايا للزوجين

١٤

سيما عندما يبدو له رجاحة الرأي المقابل ما دامت الآراء كلها في حدود دائرة الشرع الحنيف، ولا يمن عليه في هذا التنازل.

بل ليتنازل عن رأيه حتى ولو كان هو الأصوب ما دام لا يخالف أحكام دين الله. إن النقاش الموضوعي المصقول بندى المودة والمحبة يتغلب على كل المصاعب، ومن الخطورة بمكان كبير أن يتحول هذا النقاش إلى جدال ومراء، إنه عندئذٍ يتحول إلى معول هدام يخرب ويدمر الحياة الزوجية السعيدة.

هناك أمور عديدة في الحياة ليس من الحكمة الإصرار عليها، وتعريض السعادة البيئية إلى الدمار من أجلها، وهي لا تقدم ولا تؤخر.

وليس يعني هذا الكلام أن يكون أحد الزوجين دائماً هو الذي يتنازل عن رأيه.. إن الاحترام المتبادل



يجعل الحرص على المودة المشتركة أغلى على المرء من رأي هين في أمر من أمور الحياة التافهة وما أكثرها في حياة الناس.

إنّ وضع هذا الكرسي في هذا المكان أنسب من وضعه في مكان آخر. إنّ ذلك أمر هين لا يستحق أن يختلف الزوجان من أجله. وهناك أمثلة كثيرة من مثل هذه الأمور التافهة التي لا يجوز بحال من الأحوال أن تكون سبباً لضعضعة بنيان السعادة والمودة والسكن.

ومّا يتصل باحترام كل منهما لصاحبه احترام كل من الزوجين لأهل صاحبه.

عليك يا أخي أن تحترم أهل زوجتك.

وعليك يا أختي أن تحترمي أهل زوجك.

وليحذر كل منكما من أن يتصرف نحو أهل

زوجه تصرفاً لا يرضاه لأهله. والصبر خلق كريم من



وصايا للزوجين

١٦

يتحلل به يفز في الدنيا، ولثواب الآخرة أعظم وأبقى.

لا تنسي أيتها الزوجة الفاضلة - وأنت في الأيام الأولى في حياتك الزوجية - لا تنسي أن هذه المرأة التي قد تشعرين أنها منافسة لك في زوجك هي أم هذا الزوج.. وأنه لا يستطيع مهما تبلد فيه إحساس البر أن يقبل إهانة توجه إليها.. إنها أمه.. حملته في بطنها تسعة أشهر وأمدته بالغذاء من لبنها ووقفت على الاهتمام به حياتها حتى أصبح رجلاً سوياً.

هل تقبلين أن يوجه أحدٌ لأمك إهانة؟ استحضري هذه المعاني وأنت تتعاملين مع أهل الزوج الحبيب. واعلمي أن تفريطك في احترامهم تفريط في احترام الزوج... وإن لم يقابل موقفك السيئ أول مرة بشيء فلن يكون حبه لك سالماً من الخدش والنقص.

إن الروابط بين الإنسان وأهله والعلاقات بينه



وبينهم لا يمكن أن تنزع بحال من الأحوال.
فلماذا هذه الأنانية من أحد الزوجين التي تجعل
المرء يتمنى أن تقطع هذه الروابط والعلاقات ويجعل
الآخر في علاقاته هو ورابطته؟؟

وأنا أعلم أن للأهل - من الطرفين - في كثير من
الأحيان تدخلات مسيئة وتصرفات غير مقبولة،
وهي غير مقصودة غالباً. فلا يجوز أن يكون الغلط
سبباً لغلط آخر في عدم الاحترام.

إن هذه التدخلات يمكن أن تعالج بالسكنى
المنفردة، وبأن لا يدخل الزوجان أحداً من أهلهما
بمشكلاتهما الخاصة، وأن يتوليا حلها بروح المودة
والرحمة.

إن الرجل الذي يجب أهله ويبر والديه إنسان
فاضل، فلا تتضايقي بذلك يا أختي، واعلمي أن
عقوق الزوج لوالديه دمار عليك وعلى أولادك، لأن



وصايا للزوجين

١٨

العقوق من المعاصي التي تعجل عقوبتها في الدنيا.
وإن المرأة التي تحب أهلها امرأة فيها خير فلا تتضايق
بذلك يا أخي واعلم أن التي تعق أمها وأباها لا خير
فيها.

إن احترام أحد الزوجين لأهل صاحبه على
الرغم مما يمكن أن يلقي من تدخلاتهم يزيد في
المحبة.



٢- وصايا للزوج:

ذكرتُ فيما سبق وصايا تصلح أن توجه لكل من الزوجين في أيام زواجهما الأولى. وأودُّ أن أخصَّ الزوج الرجل ببعض النصائح الخاصة به، سائلاً الله له التوفيق فيما يرضيه.

١- إن أهمَّ ما يطلب منك أن تعرف دورك ومهمتك والغاية من الزواج. إنك يا أخي ويا ولدي كنت فيما مضى مسؤولاً عن نفسك فحسب، هكذا كنت قبل الزواج، أمّا الآن فقد أصبحت مسؤولاً عن أسرة؛ وكلُّ راع مسؤول عن رعيته.

إنَّ دورك هو الدور الرئيسي في الأسرة: هذه اللبنة الاجتماعية التي يقوم منها ومن نظيراتها بناء المجتمع.

وإنَّ الغاية من الزواج هو أن تُعِفَّ نَفْسَكَ،



وصايا للزوجين

٢٠

وَتَسَعَدَ مع حليلتك، وتنجب للدينيا ناساً صالحين،
يتابعون حمل رسالة الإسلام العظيم التي أكرمك الله
بها.

إنَّ معرفتك لدورك، ومهمتك، والغاية من
زواجك، تعيينك على إحكام تصرفاتك وتوظيفها
للمصلحة الاجتماعية الرشيدة.

٢- ومن الأمور المهمة التي ينبغي أن تعرفها يا
عزيزي الزوج الجديد أنه لا بُدَّ من أن تغضي على أمور
كثيرة... إنك لن تستطيع أن تجد في زوجتك كُلَّ ما
تريد، كما أنها هي لن تجد فيك كل ما كانت تريد.

فلا تتعقب المسائل: صغيرها وكبيرها، ولا
تعاتب في كل الأمور، وانظر إلى الأدب القرآني الذي
تشير إليه الآية الكريمة:

﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ
وَأظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ



قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿[التحریم: ٣].﴾

وقال الشاعر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً

صديقك، لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحداً أو صل أخاك فإنه

مقارف ذنب مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى

ظمئت وأيّ الناس تصفو مشاربه

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

كفى المرء نبلاً تعد معاييه

إن الإنسان لا يستطيع أن يتخلص من كثير من

العيوب التي فيه، فكيف نريد من الآخرين أن يكونوا

كما نريد ونحن عاجزون أن نكون نحن كما نريد؟

ولا يعني هذا الكلام أن تتساهل في الأمور الهامة

من نحو القيام بالواجبات الدينية، أو رعاية الأخلاق

وصايا للزوجين

٢٢

الإسلامية والتزام ما تقضي به الصيانة والعفة..
والعياذ بالله.. لا فهذه أمور ينبغي أن تضعها في رأس
الشروط التي لا تقبل التنازل عنها بحال من
الأحوال.

٣- لا تنقل هموم عملك إلى بيتك. واعزم على
أن تخفف من كل المشكلات والمزعجات قبل أن
تدخل بيتك، فإذا جئت إلى البيت فضع كل أعباء
عملك ومتاعبه على الباب الخارجي.. وادخل بقلب
خالص. صحيح أن نسيان الأمور المؤلمة صعب..
ولكن تعوّد على تناسي هذه الأمور ما استطعت إلى
ذلك سبيلاً.

٤- احرص يا أخي على أن تكون الكلمة الحلوة
على لسانك، والابتسامة الجميلة على ثغرك دائماً.
لا تتركها مهما كانت الظروف. فإن كثيراً من
الناس يحيون حياة سعيدة بهذه الكلمة الطيبة، وتلك



الابتسامه الرقيقه. واعلم يا أخي أن الكلمه القاسيه الناييه، والعبوس المكفهر لا يغير ما تكره، ولئن حَسَبَ بعض الناس لكلمتك وعبوسك حساباً في يوم من الأيام إنهم لن يحسبوا لها مثل ذلك في الأيام المقبله إذا تكرر ذلك منك.

إن الكلمه الطيبه صدقه.. وإن الابتسامه لون من المعروف كما قال ذلك سيدنا رسول الله ﷺ: «والكلمه الطيبه صدقه»^(١) وقال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»^(٢).

ومن أحق من الزوجه بهذه الصدقه وذاك المعروف؟

نعم.. ما أجدرنا أن نعوّذ ألسنتنا على الكلام

(١) البخاري المطبوع مع فتح الباري ٧٥/٦ ومسلم ١٠٠٩ ومختصر المقاصد ٧٥٥.

(٢) مسلم ٢٦٢٦.



وصايا للزوجين

الطيب في أول حياتنا الزوجية، ومما يتصل بالكلمة الطيبة طريقة إلقاءها، فقد تزيد هذه الطريقة - إن كانت حلوة عذبة - من تأثيرها، وما أجددنا أن نعوّد عضلات وجوهنا الابتسامة التي تبسّط أكثر المسائل تركيباً وتعقيداً، وتمنحنا قوة في التغلب على كل المصاعب.

وقد أعجبني كلام سمعته من أستاذ من أساتذتي قاله لشاب يعظه، ولم أنسه أبداً.

قال له: «إذا أردت أن تعرف ما يفعله العبوس فانظر وجهك في المرآة عندما تكون غضبان عابساً..

انظر وجهك كم هو منقرّ وقبيح!!

وانظر كم يجلب مثل هذا الوجه على صاحبه من

السخط والأذى».

أيها الزوج العروس:

٥- لا تشغل طويلاً عن أهلك. واعلم يا أخي



أن الجلوس إلى عروسك ومحادثتها ليس وقتاً ضائعاً، لا سيما إن كانت المحادثة تسير في طريق هادف وتسعى نحو قصد محدود. إنك بذلك تفهم زوجك، وتتيح لها أيضاً أن تفهمك، وهذا الفهم هو الخطوة الأولى للمعاشرة الحسنة، وكم رأينا في واقع الناس أزواجاً يقضون العشر والعشرين من السنين ولا يفهم أحدهما الآخر... وكان ذلك سبباً من أسباب النكد والشقاق.

إنك يا أخي بجلوسك إلى أهلك ومحادثتك إياها تتيح لنفسك المجال لتقنعها بكثير من آرائك التي كانت تبدو غريبة عليها بادئ الأمر، والكلام أول مرة لا يترك الأثر المطلوب، ولا يلمس الإنسان نتيجته، ولكن حسن اختيار الوقت المناسب، والأسلوب المناسب في عرض الفكرة وضرب الأمثلة الكثيرة لا بُدَّ من أن يترك أثراً كبيراً في الإنسان.

إن الحديث الطويل الهادف غير الممل، والمؤانسة



وصايا للزوجين

٢٦

المهذبة الممتعة يُمدان الحياة الزوجية بالقوة والنماء وأفضل الغذاء. واذكر يا أخي قصة أبي الدرداء مع سلمان رضي الله عنهما.

روى البخاري رحمه الله عن وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء. فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مبتذلة (أي لابسة ثياب المهنة تاركةً ثياب الزينة) فقال:
- ما شأنك؟

- قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. [أي في النساء. وجاء في رواية الدارقطني: (في نساء الدنيا) وزاد في رواية ابن خزيمة: (يصوم النهار ويقوم الليل)].

فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً.
فقال له: كُلْ، فإني صائم.
قال: ما أنا بأكل حتى تأكل. فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم.



فقال له سلمان: نم. فنام. ثم ذهب يقوم. فقال له: نم. فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن. فصليا جميعاً فقال له سلمان:

«إن لرَبِّك عليك حقاً. وإن لنفسك عليك حقاً. وإن لأهلك عليك حقاً. فأعط كل ذي حق حقه».

فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»^(١).

نعم إن لأهلك عليك حقاً. فللأهل حق والله حق وللنفس حق، والمسلم مطالب أن يعطي كل ذي حق حقه. إن الموازنة بين هذه الحقوق أمر مطلوب، ولا

(١) البخاري ٣٤/٣ (الفتح ٢٠٩/٤) و«سنن الدارقطني» ١٧٦/٢ و«صحيح ابن خزيمة» ٣٠٩/٣ برقم ١١٤٤ و«الترمذي» ٢٨٩/٣-٢٩٠.

أقول: وقريب منه حديث عبد الله بن عمرو المتفق عليه انظره في «صحيح البخاري» ٣٥/٣ وصحيح مسلم برقم ١١٥٩.

وصايا للزوجين

يقوى عليه إلاّ الواعون. والتفريط في هذه الموازنة تفريط في الحياة المتكاملة.

• هناك ناسٌ يشغلون عن زوجاتهم بكسب المال، فترى الواحد منهم يكدح طوال النهار وطرफاً من الليل، ولا يعود إلى داره إلاّ مكدود الجسم، مهودود القوى، قد استنفد طاقته حتى لم يعد لديه استعداد لحديث ولا مؤانسة.. فيخلد إلى الفراش منهاراً مضعضعاً.. وقد يأتي فيجد أهله في نوم عميق بعد أن طال عليها الانتظار.

قد يكسب من وراء هذا السلوك المال.. ولكنه يعرض نفسه لخسران الحياة الزوجية.

• وهناك ناس يشغلون عن زوجاتهم بمعاشرة الأصدقاء، وحضور الحفلات والسهرات، والاشتراك في الرحلات. فترى الواحد منهم بعيداً عن بيته وأهله في معظم الأوقات.. وإن لم يذهب من



الدار جاء هؤلاء الأصدقاء إليه وكان مكلفاً بقراهم وخدمتهم، وهو بطبيعة الحال سيدعو زوجته إلى إعداد ما سيقدم إلى ضيوفه من أنواع الطعام والشراب. إن هذا الإنسان قد يكسب ودّ عدد من الأصدقاء، وقد يكسب سمعة اجتماعية جيدة ولكنه يعرض نفسه إلى خسران السعادة البيئية.

- وهناك ناس يشغلون عن زوجاتهم بأمر محمود كما شغل أبو الدرداء عن زوجته، فتراهم في ذكر وعبادة، ونصح للناس ودعوة، وقراءة وكتابة. إن هؤلاء فقدوا القدرة على الموازنة بين الحقوق المتعددة، وفقدان القدرة على هذه الموازنة يورث خللاً واضطراباً في الحياة الداخلية للفرد منهم. في حياته مع زوجه وأولاده. إن الأهل والذرية من أحق الناس بال العناية وبأن توجه الدعوة إليهم. إن الواحد من هؤلاء الذين فقدوا القدرة على



وصايا للزوجين

٣٠

تلك الموازنة لا يلبث أن يستيقظ من غفلته، فإذا هو في واد، وزوجته وأولاده في واد آخر.

أفكاره غير أفكارهم، ومواقفه تختلف عن مواقفهم، وسلوكه في الحياة بعيد عن سلوكهم؛ ذلك لأنه ترك أهله خاضعين لمؤثرات أخرى من وسائل الإعلام والصحافة ومن البيئة التي قد يسود فيها الانحراف، وترك أهله وأولاده يقيمون علاقات اجتماعية بالأقارب والجيران. وربما كان كثير منها لا يتفق مع اتجاهه في الحياة.

ومن أصعب الأمور على النفس أن يرى المرء زوجه وأولاده يسيرون في طريق الزيغ والانحراف والضلال.

إن هؤلاء الذين يشغلون عن أهلهم يجنون بعد حين الصاب والعلقم، ويتجرعون غصص العناء والشقاء. والحياة اليوم معقدة الجوانب، مترعة بأسباب التأثير.



أعرف رجلاً متديناً انصرف في أول حياته الزوجية إلى عمله فجد واجتهد، وكان لا يأتي إلى داره إلا للطعام والنوم، ثم يخرج ولا يعود إلا بعد منتصف الليل، فإذا جاءت الإجازة ترك زوجته مع أهلها وسافر إلى البلاد الأجنبية في تحقيق أمور تتصل بعمله.. فكان من جراء ذلك تدمير الأسرة وتشرد الأولاد وعانى هو من وراء ذلك أعظم الصعوبات.

إن الانشغال عن الأهل تفريط في حق الرجل والأسرة، وظلم بين، إذ كيف يسوغ الإنسان أن يجبس زوجته وينطلق هو في عمله وزياراته وقراءته وكتابته وعبادته، ويترك شريكه حياته نهياً للوساوس والخطرات، والوحشة والأزمات، أو يتركها للانغماس في المجتمع الذي يسير في طريق آخر.

فاتق الله يا أخي ووازن بين الحقوق، ومنها حق



وصايا للزوجين

٣٢

الأهل، وليكن لك مع أهلِكَ وقت تملؤه بالمؤانسة
العذبة الهادفة والحديث المؤثر الجذاب. وفقك الله
ورعاك.



٣- وصايا للزوجة:

سبق أن ذكرت بعض الوصايا للزوج العروس،
وها أنذا أسوق وصايا خاصة بالزوجة العروس:
أسأل الله أن ينفع بها وأن يجعلنا جميعاً ممن يستمعون
القول فيتبعون أحسنه.

١- إن من أهم ما تُذكر به الزوجة العروس
التزام أحكام الشرع، وتقوى الله في معاملة زوجها
ومن يتصل به من الناس. فذلك يشمل الخير كُلّه
ويحقق السعادة الكاملة.

٢- احرصى يا عزيزتى على أن يجد زوجك بيتك
روضةً غناء في نظافته وترتيبه، فالبيت مملكتك التي
تنتظر إبداعك واهتمامك. والنظافة والترتيب يجعلان
من الأثاث المتواضع والأمتعة اليسيرة شيئاً رائعاً،
فكيف الأمر إذا كان الأثاث ثميناً؟



وتذكري أيتها الأخت أن اليوم الذي يقضيه الرجل مملوء بمنغصات العمل وبها يثير الضيق والتبرم، فاحذري أن يجد عندك ما يسوءه من أوساخ أو بعثرة للأغراض والملابس أو روائح كريهة. والنظافة من الإيمان، بل هي شطر الإيمان كما يقول سيدنا رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان»^(١).

وقد تتيح لك الأوضاع المادية الحسنة أن تقتني أدوات التنظيف الحديثة من الغسالة والجلالية والكناسة والكهربائيات، فلا يحملنك وجودها على تجميع الملابس والصحون، وتأخير التنظيف بحجة أن هذه الأداة تنجز المطلوب بسرعة.. فقد يكون هذا مما يورث البيت تشويشاً ويفسد أحواله. وذلك كأن تعتمد المرأة الكسول إلى إلقاء ما يتسخ من الثياب في

(١) صحيح مسلم ٢٢٣ والترمذي ٢٦٤/٤ والترغيب والترهيب



مكان، واستعمال الألبسة الجديدة والنظيفة، حتى لا يبقى منها شيء، ويتجمع بذلك عليها غسيل كثير. وقل مثل ذلك في الأدوات التي تستعمل في الطعام.. إذ تتحول كثرة الملابس والأواني إلى عبء ومشكلة. إن تنظيف ما يتسخ من ثوب أو وعاء على الفور يوفر لك وقتك ويتيح لك الاستفادة من أمتعتك.

٣- وعليك بتنظيم وقتك، فالتنظيم دعامة الحياة السعيدة، إنك لو خصصت لكل عمل جزءاً من الوقت لم يتعبك العمل ولم تشعر بالملل. وخدمة المرأة في بيتها شرف ورياضة ومتعة. وهكذا كان نساء السلف الصالح من أمثال فاطمة رضي الله عنها وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وغيرهما.

٤- واحرصي على ما يرضيه في مطعمه، وعلى ما يبرز نظافته وأناقته في ملبسه. فاعرفي ما يجب من الطعام فأعدّيه.. وبنبغي أن يكون إعداده في وقت



مبكر .. حتى إذا جاء الزوج وجد الطعام جاهزاً..
فتأخير ذلك ربما يؤذيه ويفسد عليه عمله ومواعيده..
إنّ هذه الأمور تبدو هيئته يسيرة ولكن التهاون فيها
قد يجعل منها مشكلة، وينبغي أن تهتمى بملابسه التي
يظهر فيها أمام الناس.. وعليك أن تتفقدتها فتصلحي
ما تستطيعين إصلاحه. وعليك أن تذكريه بتغيير
ملابسه عند اللزوم، فقد تلهيه أعماله عن ذلك.

٥- قابليه في كل حين بالابتسامة العذبة ولا سيما
عندما يعود من عمله متعباً مرهقاً. إن هذه الابتسامة
تزيد من جمالك وإشراقك، وهي سبيل السعادة
المشتركة.

٦- أثري رضاه على رضاك، واعلمي أن
مسايرتك له ليس عدواناً على شخصيتك، ولكنه
عربون المحبة والوفاء، وسيقابلك هو -بكل تأكيد-
بالمثل. والله يقول: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا



أَلْإِحْسَنُ ﴿ [الرحمن: ٦٠] والبيت الذي يسوده الشقاق والخصام والشجار والصياح أتون أول من يحترق فيه الزوجة.

٧- أطيعه فيما لا معصية فيه، فالطاعة بالمعروف واجب شرعي على الزوجة، جعل الله ثوابه الجنة يقول ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت»^(١).

والطاعة تابعة لقوامة الرجل التي قررها ربنا في كتابه ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]. فإذا كانت إدارة البيت وراثته له فالطاعة نتيجة طبيعية.. إِنَّ رُؤَسَاءَ الشَّرَكَاتِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ

(١) موارد النظمان ١٢٩٦ والمسند ومجمع الزوائد ٤/٣٠٥-٣٠٦

وانظر كلام الهيثمي في هذا الحديث. صحيح الجامع ٦٦٠

وصايا للزوجين

والجامعات والمدارس يأمرهم بأوامر
لمصلحة هذه المؤسسات، ولا بُدَّ لمن كانوا يعملون
معهم من الطاعة وإلاَّ فسدت الأمور وضاعت
المصالح، ولا يشعر المرؤوسون بأيِّ غضاضة في طاعة
هؤلاء الرؤساء.

إنَّ طاعتك لزوجك تحقق لك ثواب الله وجزاءه،
وتوجد بينكما المحبة وترسخ الودّ، وتهيئ لك الجوّ
لتتحقق مطالبك التي تتوقف على رضی الزوج،
وتساعدك على أن يطيعك أولادك، ذلك لأن المرأة
الشريرة التي تعصي زوجها في كل ما يأمرها به، ويرى
ذلك أولادها منها، ينشؤون على معصية الأوامر، فلا
يستجيبون لأمرٍ في البيت. أما كان أو أباً.

والطاعة في الإسلام ليست طاعة عمياء.. لا ..
بل هي طاعة في حدود المعروف، فلا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق، إنها طاعة محدودة بأحكام الشرع



المطهر وبحدود الطاقة، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

إنَّ المرأة المسلمة عندما تطيع زوجها تكون في طاعة الله، وهي بذلك مأجورة، ولا سيما عندما تكون الطاعة فيما لا توافق عليه. بل إنَّ الطاعة لتتجلى في طاعته فيما تكره أكثر مما تتجلى في طاعته فيما تحب. إنَّ طاعته في قبول الجواهر النفيسة ليست كطاعته في تنفيذ أمر لا تريده. وكهال الطاعة يتحقق في أن تؤدي الأمر بكل سرور ورضى، أما إذا أدته متبرمة متأففة، يعلو وجهها العبوس وأمارات الكراهية والضيق، فإنَّ هذه الطاعة كعدمها.

إنَّ إظهارها الرضى والسرور وإشعار نفسها وزوجها بالقناعة مما يخفف عليها تنفيذ ما تكره. فاحذري أيتها العروس الفاضلة من أن تكوني من أولئك النساء المولعات بمخالفات أزواجهن، فلا



وصايا للزوجين

تؤمر الواحدة منهن بشيء إلا سارعت إلى مخالفته حتى ولو كان في مصلحتها، فهؤلاء يقعن في سخط الله، ويعرضن حياتهن للدمار، وتدعو عليهن الحور العين.

عن معاذ (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال:

«لا تؤذي امرأة زوجها إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله فإنها هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»^(١).

إن الإصرار على مخالفته يوغر صدره، ويجرح كرامته، ويسيء إلى قوامته، فيبادلك ذلك ممانعة لما تحبين ومخالفة لما ترغين.

عن ابن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ بن جبل من الشام قال: يا رسول الله قدمت الشام فوجدتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فأردت أن أفعل

(١) رواه الترمذي ٢٠٨/٢ وابن ماجه ٢٠١٤ وأحمد ٥/٢٤٢ والترغيب ٣/١٣ وصحيح الجامع الصغير ٧١٩٢.

ذلك بك. قال: (فلا تفعل فإني لو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها. والذي نفسي بيده لا تؤذي المرأة حقَّ ربها حتى تؤذي حقَّ زوجها)^(٢).

وقد فصلت القول بعض التفصيل في الطاعة لأن أفكاراً وافدة دخيلة علينا تسود في أوساط معينة من نحو قولهن: «إن في الطاعة غضاضة على المرأة وانتقاصاً لها» ومن نحو قولهن للعرائس: «لا تعوديه على إصدار الأوامر، وذلك بأن لا تطيعي أمره» إن ذلك كله هراء وباطل، فاربأى بنفسك يا أيتها الأخت الكريمة عن هذا المستوى المنحدر، واعلمي

(٢) الترمذي ٢/٣٣٥، ٢٠٣-٢٠٤ وموارد الظمان ١٢٩٠-١٢٩١ ومسنند أحمد وابن ماجه ١٨٥٢-١٨٥٣ وسنن البيهقي ٧/٢٩٢. ومجمع الزوائد ٤/٣١٠ والترغيب والترهيب ٣/١٢ وصحيح الجامع الصغير ٥٢٩٤ والمستدرک ٢/١٨٧ و ١٨٩.



وصايا للزوجين

٤٢

أن حق الله أحق أن يؤدي، وأن طاعة الزوجة لزوجها فيما لا معصية فيه سبب في استقرار الحياة الزوجية وسيادة التفاهم البناء.

وهذه كلمة إلى الزوجات المتدينات:

أيها الأخت الكريمة ارفقي بزوجك المتدين فلا تجمعي عليه النكد والشقاء في البيت مع ما يلقي من أعداء الله في خارج البيت. واعلمي أن طاعتك لزوجك تعدل الجهاد في سبيل الله فهناك حديث غير قوي ولكن معناه صحيح فيه أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك. هذا الجهاد كتبه الله على الرجال فإن يصيبوا أجروا وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معاشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ:

«أبلغني من لقيت من النساء أن طاعة الزوج



واعترافاً بحقه يعدل ذلك وقليل منكن من يفعله»^(١).
إن هذه الصفات المهمة لها دورها الفعال في
تحقيق المودة بين الزوجين وإقامة دعائم السعادة
والسكن..

أيتها العروس الفاضلة:

٨- ينبغي أن شعري زوجك أنه لا فرق بينك
وبينه من الناحية المادية، وإياك أن تظهر الطمع في
ماله، واحرصي على أن تتعقفي إن أعطاك، فإذا قبلت
هديته فاشكريه، إن ذلك مما يرفع قدرك في نفسه. ولا
تكثرى عليه بالمطالب التي تفوق إمكانياته، فذلك
يزعجه ويؤلمه، لأنه لا يستطيع أن يحقق هذه المطالب
ويعز عليه أن يظهر أمام زوجته بمظهر العاجز الذي

(١) الترغيب والترهيب ٣/ ١٠. وانظر «مجمع الزوائد» ٤/ ٣٠٥ فقد
ذكر ان في سننه رشدين بن كريب وهو ضعيف وانظر في رشدين
كتاب الضعفاء والمتروكين للدارقطني. بتحقيقنا رقم ٢٢١.

لا يملك تنفيذ ما تطلب.

واعلمي أن ذلك إذا تكرر منك يؤذيك أعظم الإيذاء. ليست الحياة الزوجية ميدان صراع ولا مجال نهب واكتساب.. بل هي تعاون على إنشاء بيت سعيد آمن مطمئن. حاولي - إذا خصّك بشيء - أن تذكره بأن يخصّ نفسه أيضاً بما تعلمين حاجته إليه، ولا تكن الأنانية مستولية عليك إذا أحسست أنه يحرم نفسه من أجلك.

٩- قرري منذ الخطوة الأولى في طريق الزواج الموفق السعيد أن تكوني عوناً له على الأحداث والأزمات، وأن تمديه بالرأي والصبر وحسن التدبير. شاركه مآسي الحياة وما أكثرها، فذلك كله مما يزيدك مكانة في قلبه. إن الرجل يبقى محتاجاً الى امرأة تشاركه آلامه، فذلك يدخل عليه من السكينة والأمن ورباطة الجأش والرضى والسرور ما يخفف عنه هذه



الآلام ويعينه على التغلب على الصعوبات.
 إنك عندما تظهرين أمامه مادية قاسية القلب لا
 تهتمك إلا مصالحك يتضاعف عليه المصاب ويعظم
 عليه الألم.
 إنك بذلك تحفرين لسعادتك القبر الذي تدفن
 فيه.

والمرأة التي تفقد السعادة مع زوجها يصعب أن
 تجد سعادة مع أحد من الخلق. إن الحياة في حقيقتها
 عواطف ومواقف، ومعانٍ أكثر مما هي أمور مادية.
 ١٠- احترمي زوجك واحترمي أهله من أعماق
 قلبك بصدق وحماسة وإخلاص، واعلمي أنه يجب
 أهله أكثر من أهلك، كما أنك أيضاً تحبين أهلك أكثر
 من أهله. فاحذري أن تطعنيه بازدراء أهله أو
 انتقاصهم فإن ذلك يدعوه إلى النفرة منك.
 ١١- احرصي على الصدق معه ومع غيره،



فالصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة^(١).
صارحيه بالحقيقة في أمورك كلها، وأعلميه
بالأحداث التي تتم في غيبته. فالكذب قد ينطلي عليه
مرة، ولكنه لن ينطلي عليه في كل مرة، ولا بُدَّ من أن
تتكشف له الحقائق.

فإذا وقر في صدره أنك كاذبة لم يصدقك في أمر.
ومن أصعب الأمور على الإنسان أن يعيش مع من لا
يصدقك في خبر. إن الكذب يا عزيزتي ينتزع الثقة بك
من صدره، ويجعله مرتاباً في كل نبأ تبثينه به.

إن الكذب دليل على المكر والالتواء، وهو سبب
النفرة بين الزوجين، وسبب إفساد الأولاد في البيت،
وهو إثم يقود صاحبه إلى النار كما قال ﷺ: «وإن
الكذب يهدي إلى الفجور وإنَّ الفجور يهدي إلى

(١) وهذا قطعة من حديث أنظر تخريجه في الصفحة التالية



النار»^(١).

١٢- لا تزهدى أيتها الأخت الكريمة بالكلمة الحلوة تقولينها لزوجك.. فما أعظم سحر الكلمة الحلوة، لا سيما عندما يشعر الزوج أنها منبعثة بصدق من قلب محبّ. إن الرجل يحبّ أن يرى زوجته مهتمة به، هكذا الرجال كلهم، فشجعيه بإبراز محاسنه وتكرارها على لسانك، فليس أحلى على قلب المرء من أن يسمع مدحه بصدقٍ من زوجته، إنه يريد أن يكون ماجداً أمامك، صاحب سمعة، فلا تترددي في منحه ذلك. وإن رأيت ما يسوءك منه فلا تضخمي الأمر في نفسك، بل اذكري مباشرة صفاته الطيبة. ليس هناك رجل قبيح من كل الجوانب، وليست هناك امرأة

(١) البخاري ٢١/٨ ومسلم برقم ٢٦٠٧ وأبو داود ٤٠٧/٤ والترمذي ١٣٧/٣ وأحد ٣٨٤/١ وفتح الباري ١٠/٥٠٧ والأدب المفرد ٥٧.



وصايا للزوجين

٤٨

قبيحة من كل الجوانب وليس في الدنيا إنسان كامل. بل إنك أنت لتعترفين -بينك وبين نفسك- بعدد من النقائص موجودة فيك ولا ترغيبين أن يعرفها الناس، فإذا كان ذلك كذلك فلماذا لا تقبل الواقع بذكر الجوانب المشرقة الموجودة حقاً.

يقول رسول الله ﷺ: «لا يَفْرِكُ مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً، رضي منها خلقاً آخر»^(١).

ومما يتصل بالكلمة الحلوة الطيبة أن تتبهي للأُمور الآتية:

لا تكثري الشكوى أمامه، ولا تعاتبيه دائماً في الأمور التي لم ترق لك، ولا تظهرى انفعالك من أهله وأولاده أمامه.. لأن ذلك قد يعكر صفو العلاقة بينكما، وتذكري الصحابية الجليلة أم سليم التي كانت تحرص على رضي زوجها أبي طلحة حتى في أشدّ

(١) رواه مسلم ١٤٦٧.



حالات انفعالات الأم الثكلى، فلقد مات ابنها فطلبت من أهل الدار أن لا يخبر أحدٌ منهم زوجها بهذا الخبر حتى تكون هي التي تخبره، وتزينت أحسن زينة، ومهدت لإخباره تمهيداً يجعل وقع الخبر عليه خفيفاً^(١).

إن الكلمة الحلوة أمنية الرجل الكادح طوال اليوم في عمله، وهي لا تكلفك شيئاً من جهد أو مال.
وإليك أيتها الأخت صورة نقلها إلى إنسان عن تجربة مؤلمة يعانيتها، لتكوني على وعي من تصرفاتك ولتحاذري من الوقوع فيها.
حدثني مسكين من الأشقياء بزواجهم أنه لا يفتح عينه إلا على مظهر مفرع من زوجته النافشة شعرها، الرافعة صوتها، المزججة على أولادها.. فإذا ما استبدّ بها الغضب وزاد الانفعال أقبلت نحوه

(١) انظر الخبر مفصلاً في رسالة موجزة كتبتها عن (أم سليم).



وصايا للزوجين

٥٠

تحمله المسؤولية في الأوضاع التي تشكو من أولادها وتذكر تقصيره في مساعدتها.. هذا شأنه في أكثر الأيام.. لا يسمع الكلمة الحلوة، ولا يرى الوجه الباسم، ولا يستمتع برؤية الهندام المرتب.. ولا يسعد بقهوة الصباح يحملها وجه صبح، ولا يشاهد العناية بطعامه وأموره.. فكان ذلك سبباً في قيام النفرة من البيت وزيادة كراهية الزوجة، وعزمه على الطلاق.

هناك مشكلات، ولكن حلها لا يكون على هذه الطريقة المزعجة المنفرة أبداً، وقد قدمنا الطريقة التي يمكن أن تحل بها المشكلات العائلية.

١٣- تزيني له وأشعريه باهتمامك الكبير به، ولتكن القضايا التي تهمة هي القضايا الكبرى عندك، حتى ولو كانت ليست كذلك في نظرك.

حاولي أن تجعلي بيته جنة مادية ومعنوية تسعدي ويسعد أولادك وتقدمي لأمتك الشيء الكثير. والله يتولأك بالتوفيق والسداد.



أودّ أن أختتم الوصايا بكلمة أرى أنها في غاية الأهمية وهي موجهة إلى الزوجين كليهما، وقد يكون نصيب الزوج منها أكبر. هذه الكلمة تدور حول علاقة كل من الزوجين بوالديه بعد الزواج.

يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

ويقول عزّ من قائل: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

إن هذه المرحلة دقيقة ويحدث فيها كثير من الأحيان ألوان من الحساسية تستدعي نفوراً وتعكراً في العلاقات العائلية، وربما تفاقم الوضع حتى ينتهي

إلى مقاطعة الوالدين والدخول في غضب الله والعياذ
بالله تعالى.

يا أخي الزوج العروس:

إن قوة شخصية الإنسان تبدو في القدرة على أن
يوازن بين الحقوق والواجبات التي قد تتعارض أمام
بعض الناس، وغالباً ما يكونون سطحيين تافهين
ضعفاء.

إن قوة الشخصية تظهر في القدرة على أداء حق
كل من أصحاب الحقوق، دون أن يلحق جوراً
بواحد من الآخرين.

ومن عظمة هذه الشريعة أنها جاءت بأحكام
توازن بين عوامل ودوافع وحوافز متعددة،
فللوالدين حقوق، وللزوج حقوق، ولا تعارض
بينهما في حقيقة الأمر، والمسلم الواعي قوي
الشخصية يستطيع أن يعطي كل ذي حق حقه.



ويبدو أنّ الناس فيما مضى -ولعوامل متعددة- كانوا يراعون حق والدي الزوج رعاية مبالغاً فيها، قد تدخل الجور على الزوجة في كثير من الأحيان عدواناً وظلماً. ولكن الأمر -بعد اختلاطنا بالكفرة وتأثرنا بحضارتهم التي حُطّمت فيها الأسرة- اختلف حتى أصبح الظلم يصيب الوالدين، وهو إن وجد ينصبّ أكثر ما ينصبّ على الأم. لئن كنّا في الماضي بحاجة إلى تذكير الزوج بحقوق الزوجة مع مراعاة برّ الوالدين إننا اليوم بحاجة إلى تذكير شبابتنا برعاية الموازنة بين حقوق الوالدين وحقوق الزوج، وإلى تحذيرهم من العقوق.

إن كثيراً من المآسي الاجتماعية والعائلية تقع بسبب الإخلال بهذا التوازن المطلوب. والخسارة الكبرى والإثم العظيم يقع على الزوج أولاً عندما يقع في غضب الجبار ويدخل النار.. ثم يعم الزوجة هذا السخط. ذلك لأن عقوبة عقوق الوالدين من العقوبات التي قد تعجّل في الدنيا قبل الآخرة، وهذا



وصايا للزوجين

٥٤

أمر مشاهد ينطق به الواقع العملي.
أيها الزوج العروس أنا لا أدعوك إلى ظلم
زوجتك، فالظلم حرام بكل أنواعه ومظاهره، ولكنني
أذكرك بأن ظلم والديك وعقوقها من أعظم الذنوب،
كما قال ذلك رسول الله ﷺ:

«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟».

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» - وكان
متكثراً فجلس فقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور»
فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت^(١).

فاعمل يا أخي على أن تنجي نفسك من عقوبة
العقوق الدنيوية والأخروية، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلِعَذَابٌ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾
[الرعد: ٣٤].

(١) رواه البخاري ١٥٠/٣ ومسلم ٦٤/١ والترمذي ٢٥٥/٣
ومجمع الزوائد ١٠٣/١ والترغيب والترهيب ١٤١/٣.



واحرص في الوقت ذاته على إنصاف زوجك،
والإحسان إليها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.
إنّ ما تقدم من والديك من إكرام وعناية
وإحسان إليك، يجب أن يقابل منك بالعرفان
والمكافأة. لقد تعهداك بالرعاية والخدمة وأنت
ضعيف لا تملك من أمر نفسك شيئاً، وأنفقا عليك
وحرما أنفسهما من أجلك، وسهرا على شؤونك،
وتعبا من أجل راحتك. أفلا يجدر بك إن كنت من
أهل الخير والمروءة أن تقابل ذلك بعرفان وإحسان؟
و﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].
والأم ينبغي أن تقدم في البر لضعفها، ولذلك وصّى
بها رسول الله ﷺ مرات قبل الأب، ثم أوصى
بالأب^(١).

ومما يعينك على تحقيق البر في حياتك أن تضع

(١) متفق عليه: البخاري ٣/٨ ومسلم ٢٥٤٨.



وصايا للزوجين

نفسك في محل أبيك وأمك.. فهل يسرك غداً عندما يصيبك الكبر، ويهن العظم منك. ويشتعل رأسك شيئاً أن تلقى من ابنك المعاملة السيئة والإهمال القاسي والإهانة الجارحة؟ أو ما علمت يا أخي أن الأيام دول وأن الزمان لا يبقى على حالة واحدة **﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾** [آل عمران: ١٤٠]. فلا تغتر بشبابك وقوتك ومالك، فسرعان ما يلقاك المشيب، ويعتريك الضعف، ويزول عنك المال.

وقد يكون مقدرًا للإنسان أن يكون في آخر عمره مقعداً، فليتصور هذا الإنسان أنه -وهو في هذه الحالة من العجز- قابل بالعقوق والجفوة من ابنه بسبب إيثاره زوجته؟

ماذا يكون شعوره في ذلك الوقت وهو على ما ذكرنا.



تصور هذا يا أخي وأنت تعامل والديك، فهذا مما يعينك على تحقيق البر في حياتك. وكتب الله لك السداد والتوفيق وجنبك الزلل والعقوق والظلم، وهياً لك حياة سعيدة بما يرضي الله.

ليس من شك في أن الزوجة الصالحة العاقلة، الخيرة الطيبة تكون عوناً لزوجها على الخير.. على برّ والديه، وتوصيه التزام حكم الشرع.

ذلك لأن الرجل الذي لا خير فيه لأبويه لا يمكن أن يكون فيه خير لزوجته ولا ولد ولا لأحد من الناس في هذا الوجود.

إن موقف الزوجة الصالحة في إعانته على البرّ كفيل في كثير من الأحيان في حلّ المشكلة وتسوية الأزمة، لأن الوالدين عندما يشهدان الحبّ الصادق والاحترام والحنان من زوجة ابنهما يعطفان عليها وعليه، ويسود الودّ والتفاهم والصفاء جوّ الأسرة كلها.



وصايا للزوجين

إن قليلاً من الحزم، وكثيراً من الانتباه، يعينك يا أيها الزوج على سلوك سبيل الاتزان في معاملة زوجك ووالديك، وعندما يكون ذلك منهجك تسعد في أسرتك، وفي أعماق نفسك، وتفوز بمرضاة الله.

إنّ وعيك لهذه الحقيقة في أول حياتك الزوجية يجتّبك العثرات والمتاعب، ويعينك على أن تكون خطواتك في المستقبل خطوات سائرة على طريق الهدى والحق والخير والسعادة والاستقرار.

واعلم أيها الأخ الفاضل أن تصرفات الوالدين وتصرفاتك أنت أيضاً تتغير بعد الزواج.. إنها في الغالب يصبحان شديدي الحساسية.. والأم أكثر حساسية من الأب، فلتكن في منتهى الحذر.. واعمل ما وسعك العمل على ألا يتغير قلبها نحوك.

ويساعدك في تحقيق ما تريد من المراعاة للوالدين والزوجة أمور أهمها:



- ١- أن تلجأ إلى الله وتحسن صلتك به عبادة ودعاءً والتزاماً لما شرع.
- ٢- وأن تسكن منفرداً مستقلاً عن أهلك وأهل زوجك.
- ٣- وأن تصارح والديك مع الاحترام البالغ بما تنكره من أوضاع جديدة، وتبين لهم الواقع البعيد عن التأويلات، التي قد يوسوس الشيطان بها للإنسان للإيقاع بين الأهل والأحباب.
- ٤- وأن تزيد من برهما المادي والمعنوي، كالهدايا والزيارات والاتصال الدائم، والتكريم الكبير، وإشعار والدتك بأنها ما تزال عندك الأم التي لها حق عظيم.
- ٥- وأن تتفاهم مع زوجتك على السلوك الذي يحقق إرضاء الوالدين.
- ٦- هذا وأنصح الأخ الزوج ألا يلزم نفسه في



وصايا للزوجين

أول الأمر بما لا يستطيع أن يستمر عليه، لأنه إذا بدأ به ثم قطعه فُسِّر تفسيراً ليس في مصلحته، وجرّ عليه أسوأ العواقب. فالزيارة اليومية للوالدين مثلاً ربما لا تيسر له يومياً، لا سيما إذا كانت المساكن متباعدة والمشاكل كثيرة.. فلا يلزم نفسه بها. ومن نعمة الله على عباده في هذه الأيام أن يسر لهم وسائل الاتصال المتعددة، كالسيارات والهواتف التي جعلت المواصلة ميسورة مهما تناءت الديار.

إن ذلك كله يضمن لك سعادة كاملة.

واحذر يا أخي أن تعطي والدتك - في تصرفاتك التي ربما لا تنتبه إليها - الأدلة التي تشعرها بأن فلذة كبدها قد صارت لغيرها وقد تحولت عنها.. إنها عندئذ ستكون شديدة التأثر واللوم، شديدة الإزعاج والإتعا ب لك من حيث لا تشعر، وكلما كانت أكثر تعلقاً بك وحباً لك كان تأثرها ولومها أكبر وأضخم.



وأنا أعلم أن كثيراً من الأمهات الجاهلات بسبب ما تقدم يخرجن أبناءهن ويحرمهن من السعادة، فإذا ابتلي إنسان بأم من هذا النوع كان عليه أن يقابل ذلك بالصبر والاسترضاء... وهنا تظهر حقيقة البرّ وقوة الشخصية التي تقوى على الموازنة بين أصحاب الحقوق.

ويطيب لي أن أهمس في آذان الأمهات أن ينتبهن لأنفسهنّ، وأن يكنّ عوناً لأولادهنّ على البرّ، وأن يعملن على تحقيق السعادة لهم.

ويبقى الحنان مفتاحاً في يد الولد العاقل، يجعل أمه سهلة الانقياد، سريعة التأثر، والأمهات أنواع، فقد ترضى الأم بكلمة حلوة، أو هدية متواضعة أو استرضاء مبلل بالعاطفة الوافرة. إن قلب الأم - إن لم يتحول بسبب العقوق - قريب المأخذ.

يا أخي إن ارتباطك بوالديك أمرٌ محتوم لا خيار



وصايا للزوجين

لك فيه، ولا فكاك لك منه بحال من الأحوال، وليس في يديك... فلا تنسَ هذه الحقيقة.

ولقد جاء الشرع فقرّر لهما من الحقوق ما لم يقرّره لمخلوق من الناس إذ أوجب أن تصاحبهما في الدنيا معروفاً ولو كانا كافرين يدعوانك للكفر.

يا أخي إن أعظم ما يميز مجتمعنا الإسلامي هو هذا الترابط العظيم في علاقاته الأسرية، فلا تتهاون فيه، فإنّ في بقاء هذا الترابط خيراً للناس الذين يعيشون معك.

ولا بدّ لي من أن أشير إلى علاقة الزوجة بوالديها. اعلمي أيتها الأخت الفاضلة إنك بدأت مرحلة جديدة في حياتك، فلا يجوز أن تستمر أوضاعك السابقة مسيطرة على تصرفاتك.. إنك أصبحت ربّة أسرة مسؤولة عن بيت وزوج وأولاد... حاولي أن تندجي في الجوّ الجديد الذي انتقلت إليه، وأن تتعاوني مع شريك حياتك ضمن حدود الشرع المطهر.



احرصي على بر والديك بكل ما تستطيعين من أنواع الاسترضاء والبر، ولكن ذلك ينبغي أن يكون في حدود الموازنة التي شرعها الإسلام، بحيث لا يجور جانب على جانب، واحذري أن تدخل في أمور الخاصة والديك، بل حاولي أن تتصرفي التصرف الذي يقره الشرع مستقلة، إلا أن تكون هناك ضرورة ملحة، وإياك والعقوق فإنه كما ذكرنا من أكبر الكبائر.

أشعري زوجك بأنك مع احترامك لوالديك وحبك لهما حريصة على طاعته والتعاون معه، وأن حبك له لا يمكن أن ينافس حبك لهما، واستعيني بالله والاستقامة على شرعه والصدق.

والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	١- الوصايا المشتركة
١٩	٢- وصايا للزوج
٣٣	٣- وصايا للزوجة



